حروب الجيل السادس والصراع المعلوماتي

مقدمة:

ظهرت العديد من الاتفاقيات الدولية التي تقتضي بنزع الرؤوس النووية والحد من التسليح لتحقيق التوازن بين القوى المتناحرة، فما كان لهذه الدول أن تفكر في أساليب بديلة تحلها تلتزم بهذه الاتفاقيات والمعاهدات الدولية وفي نفس الوقت تستطيع أن تحقق مطامعها الاقتصادية والسياسية وكأنها تمتلك ملايين الرؤوس النووية وملايين الأسلحة الفتاكة من خلال ما يُعرف بالصراع المعلوماتي أو حرب المعلومات Information War وهي سمة حروب الجيل السادس المنظورة.

ذُكر هذا الجيل في الكتابات المنشورة بمسميات مُتعددة، منها الحرب الباردة ثم الحروب غير المسلحة، وأحيانا الحرب التكنولوجية وتارة أخرى بالحروب عن بُعد No-contact warfare وأيضاً حرب المعلومات أو الشائعات والحرب البيولوجية، والمصطلح الأكثر شيوعاً هو حروب الجيل السادس، وهي حروب لا تستخدم فيها الأسلحة والجنود، وإنما تهدف إلى خلق تناقضات بين الدولة والمجتمع باستغلال وسائل نشر المعلومات وعلى رأسها الشبكات الاجتماعية لبث المعلومات المغلوطة أو الزائفة Misinformation حيث تقوم على استراتيجية احتلال العقول أولاً ثم الأرض، يظهر هذا الجيل من الحروب صاحبته عدة مصطلحات منها على سبيل المثال الكتائب الإلكترونية والإرهاب الإلكتروني والتي تهدف إلى إحداث الفوضى وزعزعة استقرار وأمن الدول لأغراض سياسية واقتصادية.

د. عمرو حسن فتوح
أستاذ علم المعلومات المساعد بجامعة الحدود الشمالية المملكة العربية السعودية سابقا.

ومدرس تكنولوجيا المعلومات بجامعة الوادي الجديد.

تطور أجيال الحروب:

بناء على ما ورد بسلسلة دراسات المستقبل التي تصدر عن مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة بدولة الإمارات العربية المتحدة، أن الحروب مرت بخمس أجيال، تبدأ بالجيل الأول والذي أستخدمت فيه الأسلحة والجنود، وكان هدفها الأساسي تحقيق الانتصار العسكرية، ثم الجيل الثاني فكان بمثابة تطور للأسلحة، فظهرت الأسلحة الآلية والمدرعات الثقيلة ولها نفس هدف الجيل الأول بلبها حروب الجيل الثالث، ظهر هذا النوع من الحروب إبان الحرب العالمية الثانية على يد الألمان حيث استخدمت فيه الطائرات المقاتلة ونظم الاتصالات اللاسلكية. منذ ذلك الحين أدركت القوى العالمية أن لا مجال للسلاح والجنود والأمر أصبح مُكلف، لذا بدأ الاتجاه نحو استخدام المعلومات كسلاح للتأثير على صانعي ومتخذي القرار في الدول المعادية من خلال المنصات الإعلامية لتحقيق مآربها، وهذا ما يسمى بحروب الجيل الرابع أو الحرب الإعلامية Media Warfare؛ حيث اتخذت منصات التواصل الاجتماعي قاعدة لإطلاق فذائفها المعلوماتية السامة لتخريب العقول وزعزعة أمن واستقرار الدول، ويحضرنا في هذا الجيل من الحروب مثال وهو تنظيم داعش بالعراق وسوريا والتنظيمات الإرهابية الأخرى، حيث استطاعت المعلومات المُغرضة أن تؤثر على عقول هذه التنظيمات وتدعلهم معصوبي العينين مغيبي الفكر، وهذا ما يسمى باستراتيجية تدمير العقل البشري بالمعلومات، وتتجلى معالم هذه الاستراتيجية في الأفعال التي ارتكبتها هذه التنظيمات بحق البشرية من إزهاق أرواح آلاف من البشر تحت شعار الدين، فكيف أقنعت هذه الاستراتيجية التنظيمات المتأسلمة أن يحل للمسلم سفك دماء أخيه المسلم تحت راية الإسلام، في حين أن الإسلام نهى عن ذلك في قوله تعالى [وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا] صدق الله العظيم سورة النساء: الآية (٩٣)، وفي موضع آخر [وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا] صدق الله العظيم سورة الفرقان: الآية (٦٨).

بدأ الاتجاه نحو استخدام المعلومات كسلاح للتأثير على صانعي ومتخذي القرار في الدول المعادية من خلال المنصات الإعلامية لتحقيق مآربها، وهذا ما يسمى بحروب الجيل الرابع الإعلامية.

وجاءت حروب الجيل الخامس امتداداً لسابقتها حيث تستهدف المجتمع من خلال استغلال الثغرات ومراكز ضعف الدولة وتسعى إلى إثارة سخط الشعب نحوها وتكوين التحريض بتفنيد الأداة ولتفنيد الهدف. طور هذا الجيل استراتيجياته وظهرت الحرب السيبرانية **Cyberwarfare** وهي بمثابة هجوم عن بُعد مُتعمد لتدمير أنظمة الحاسوب وشبكات الاتصالات والمعلومات أو اختراقها للحصول على معلومات عسكرية أو استخباراتية للدول المعادية. وأصبح هذا الجيل المتطور يُشكل تهديداً للأمن القومي للدول الكبرى. وتحديداً إذا قام باستهداف البنى التحتية الحيوية مثل البنوك وخطوط الطيران ومحطات الكهرباء والسكك الحديدية والمحطات الفضائية وغيرها.

إذاً ما حروب الجيل السادس GW6 ؟

تقول نهلة الحوراني أن أول من أطلق هذا النوع من الحروب هم الروس على يد الجنيرال الروسي " فلاديمير سليتشينك" حيث قال "الحروب التقليدية قد عفا عليها الزمن وما سيأتي بعد ذلك سيدار بأنظمة ذكية وسنحصد به نتائج ذكية أيضاً" في إشارة منه إلى حرب المعلومات. لذا نجد أن من سمات هذه الحروب محاولة تغيير الثقافات والعادات والتقاليد والنمرد على المجتمع والأنظمة

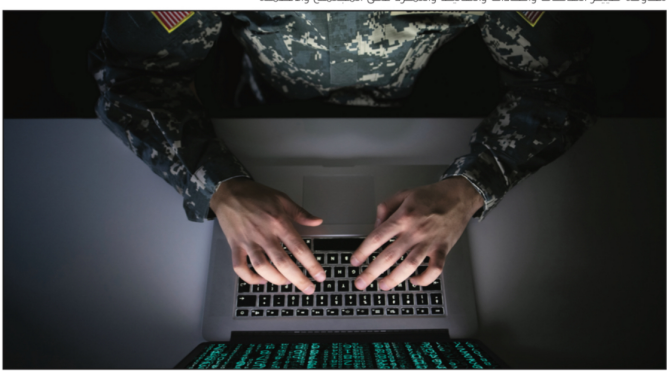

السياسية من خلال التلقين الممنهج بالمعلومات الخاطئة. لم تقف الحرب المعلوماتية عند هذا الحد بل طورت استراتيجياتها إلى أن ظهر نوع جديد من الأكاذيب يُطلق عليه سياسة ما بعد الحقيقة "**Post Truth Politics**" وهذه الاستراتيجية تخاطب العواطف والمشاعر وليس العقل، أي تثير الرأي العام من خلال طرح القضايا من منظور عاطفي لينحاز إليها عدد كبير الأشخاص ضد الدولة.

الصين وتجربة استثمار تكتيكات حروب الجيل السادس لإنقاذ اقتصادها:

يقول جوان ميشيل في دراسة له عن إرهاب تنظيم القاعدة، أن الحروب الدعائية وبث الأكاذيب يُغرض تغييب الشعوب وإضعاف القيادة من أبرز تكتيكات حروب الجيل السادس، والتي أطلق عليها استراتيجية التضليل المعلوماتي **Disinformation**.

الجولة الأولى صراع الحكومات الصينية والأمريكية :

عندما أصبحت الصين أكبر قوة اقتصادية في العالم، وبدأت منتجاتها تغزو الأسواق الأوروبية والعربية أيضاً، كان ذلك بمثابة ناقوس خطر للولايات المتحدة الأمريكية وأرادت أن تصدع هذا الاقتصاد. وكانت أولى محاولاتها في مجال التكنولوجيا وتحديداً في مجال الهواتف الذكية حيث منعت شركة جوجل الأمريكية دعم هواتف هواوي الصينية. وهذا يُعني أنه لم يعد بإمكان

مستخدمي هواتف هواوي حول العالم الوصول لخدمات جوجل مثل الجي ميل وخرائط جوجل وجول بلاي وغيرها من الخدمات الأخرى. حيث أدانت الحكومة الأمريكية إشاعة مُغرضة تتهم فيها شركة هواوي بالتجسس عليها لصالح الحكومة الصينية مما يشكل خطراً على أمنها القومي. ومن ثم وضعتها في القائمة التجارية السوداء: ولكن حقيقة الأمر ترتبط بقوة شركة هواوي الاقتصادية حيث تصنف ثاني أكبر شركة مصنعة للهواتف الذكية في العالم بعد سامسونج الكورية. وقفزت أرباحها في عام ٢٠١٩ إلى ٨٥٠ مليار يوان أي ما يعادل

٢١.٧٢ مليار دولار؛ وبالتالي تعتبر قوة اقتصادية تؤثر في السوق العالمي وهذا بشكل تهديداً اقتصادياً للحكومة الأمريكية، وبعد هذا القرار بدأت الحرب التجارية البلدين، وما زال هذا الصراع قائم حتى الآن ولم ينتهي، وكل منهما يمارس ضغوطاً اقتصادية على الآخر، وكأنهما اتفقا على مبدأ الصراع للأقوى.

الجولة الثانية سيناريو الحرب المعلوماتية والبيولوجية إبان جائحة كورونا (الصفعة الصينة):

استخدمت الحكومة الصينة تكتيكاً اقتصادياً لخداع دول الاتحاد الأوروبي وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أرادت الصين التخلص من هؤلاء المستثمرين على أراضيها؛ حيث كانت معظم الأسهم والحصص في المشاريع الاستثمارية بمعاملي إنتاج التكنولوجيا والكيماويات تعود ملكيتها للمستثمرين الأوروبيين والأمريكيين، وهذا يُعني أن معظم أرباح هذه الصناعات كانت تذهب مباشرة إلى هؤلاء المستثمرين وليس إلى الخزينة الصينية؛ مما أدى إلى هبوط

سعر العملة الصينية "يوان"؛ فلم يكن أمام الحكومة الصينة سوى التضحية ببعض مواطنيها لوقت قصير، حيث أذاعت خبر انتشار وباء كورونا القاتل في البلاد وأنها عاجزة عن شراء أقنعة الوقاية من هذا الوباء الفتاك وكانت هذه بداية الحرب البيولوجية الصينة على أمريكا والعالم، هذه الشائعة المُغرضة التي روجتها الحكومة الصينة على لسان رئيسها "شي جين بنغ" ترتب عليها انخفاض حاد في سعر شراء أسهم شركات صناعة التكنولوجيا في الصين وعليه تسابق المستثمرين الأوروبيين والأمريكيين بطرح هذه الأسهم للبيع بأسعار مُخفضة، وانتظرت الحكومة الصينة الوقت المناسب إلى أن وصلت الأسعار لتسنه المحاينة وقامت بشرائها، وبهذه الطريقة تكون الحكومة الصينة قد قامت بتأميم اغلب الشركات الأجنبية على أراضيها دون أن تتسبب في أي أزمة سياسية أو اخلال باتفاقيات دولية تُوقع عليها عقوبات اقتصادية أو تعويضات مالية باهظة، بعدما حققت الحكومة الصينة مبتغاها بدأت الصين إخراج المصل المضاد لفيروس كورونا والذي كانت تمتلكه من البداية لتأمين شعبها واستطاعت معالجة المصابين، وفي وقت قصير أعلنت الحكومة الصينة أن معدل الإصابة صفر إصابات وعليه أعلن وزير الخارجية الأمريكي "مايك بومبيو" أنه يملك الأدلة التي تؤكد أن فيروس كورونا جاء من مختبر بمدينة "وهان" الصينة، كما أنهم الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" الحكومة الصينة بتضليل العالم؛ وذلك لإخفائها معلومات عن كورونا. إذاً ماذا ستنتج من العرض السابق؟ ستنتج أن سمة حروب الجيل السادس المتطورة هي استخدام المعلومات المُغرضة والأوبئة والفيروسات لإسقاط الدول المعادية وتحقيق مطامع اقتصادية أو سياسية بأقل تكلفة وفي أسرع وقت، ومن هنا يمكن القول بأن حروب الجيل الأول حتى الثالث هي حروب تقليدية وما يأتي بعد ذلك فهي حروب متطورة والتي تبدأ من الجيل الرابع حتى السادس، حيث تستخدم فيها المعلومات والشائعات بشكل أساسي.

المنطقة العربية وحرب الشائعات:

نشرت مجلة جوين أفريك الفرنسية، تقريراً خاصاً بعنوان "حرب المعلومات في عصر ما بعد الحقيقة في العالم العربي" أشار هذا التقرير إلى أن الحرب الحقيقية الآن هي حرب المعلومات التي تُعتبر أداة لمواصل الصراع التقليدي (الحروب المسلحة) بالمعلومات المغبرة أو الشائعات، والتي أصبحت واقع يتغلغل

في العلاقات بين الدول. وظاهرة تصاعد حدتها في بلادنا العربية. وفي إطار هذا التقرير أشارت المجلة أنه في أوائل القرن الحادي والعشرين، استخدمت الشائعات كأداة خبيثة لإحداث النزاعات في الشرق الأوسط. وتُعرف المعجم الوسيط الشائعة على إنها تداول الخبر دون التحقق من مصادره أو مصداقيته. وقد أثبتت الدراسات أن 70% من قيمة المعلومة تسقط أثناء تداولها بين الأشخاص وصولاً إلى الشخص الخامس أو السادس. ويقول عباس شومان عن الشائعات إنها قديمة قدم الإنسان. وقد انتقلي بها الرُسل والأنبياء. وللشائعات أغراض سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية وغيرها. تروجها جماعات أو أحزاب داخل الدولة وتكون مُعادية للنظام الحاكم. أو خارج الدولة مع دول مُعادية. إذا حروب الجيل السادس هي حرب معلوماتية ممنهجة في صورة إشاعات مُغرضة تنطلق من شبكات التواصل الاجتماعي. كونها الأكثر شعبية وتجمع أكبر عدد من المستخدمين حول العالم. وأصبحت هذه الشبكات بيئة خصبة لنمو وانتشار هذه الشائعات. ولما كانت هذه الشبكات تُعطي مستخدميها حرية التعبير عن آرائهم دون تفيد؛ لذا تسجدها تحمل بين صفحاتها المعلومات الحقيقية والمغلوطة التي تنتقل بين الآخرين بسرعة تفوق سرعة الضوء. حيث اثبتت الدراسات الأجنبية أن بعض المعلومات المقدمة عبر الشبكات الاجتماعية تفتقد إلى الجودة والوضوح والحيادية وتشوبها بعض التحيزات والانتماءات العرقية

وعدم الشفافية؛ مما أدى إلى عزوف الأدباء والمفكرين وغيرهم عن التعامل مع هذه المعلومات وتمريرها مصادر غير رسمية إذا كانت شخصية أو محمولة المصدر. ومن هنا ظهرت لنا أزمة مصداقية المعلومات -Information Credibility Crisis كردة فعل للزيادة الهائلة في كمية المعلومات الإلكترونية المنشورة عبر هذه الشبكات. فالمشكلة ليست حول المعلومات المغلوطة فقط وانما تمتد لتشمل الأشخاص المتلقين لهذه المعلومات وخصوصاً محدودي الثقافة والتعليم فهم صحايا الشائعات

وقد حذر الرئيس عبد الفتاح السيسي أثناء كلمته في حفل تخريج طلاب الكليات والمعاهد العسكرية من خطر الشائعات المُغرض؛ حيث أكد أن الشائعات بإمكانها أن تدمر الدولة من الداخل إن لم نع لها جيداً وألا نساق نحوها ونخدم من انتشارها حيث واجهة مصر خلال ثلاثة شهور ٢١ ألف إشاعة مُغرضة تهدف إلى البلبلة وعدم الاستقرار وإثارة الرعب بين المواطنين.

أنواع المعلومات الزائفة عبر شبكات التواصل الاجتماعي:

يقول صبري البناتي في دراسته عن المعلوماتية وانعكاساتها السلبية أن المعلومات كأسلوب إدارة يحظى باهتمام المؤسسة العسكرية الأمريكية، وأطلق على هذا الأسلوب "عقيدة المعلومات" Information Doctrine" ويُعني أن المعلومات رصيد استراتيجي، وأن مجال المعلوماتية هو السبيل لغرض السيطرة على العالم في المستقبل؛ وهذا يدل على أن ترويج المعلومات الزائفة الهادفة سيكون أداة الحرب المستقبلية؛ لذا تُمكن تصنيف المعلومات الزائفة أو الغير موثوقة عبر شبكات التواصل الاجتماعي لنوعين رئيسيين، الأول معلومات زائفة هادفة وهي المعلومات التي ينشرها أصحابها وهم على يقين ودراية تامة بأن هذه المعلومات عارية تماماً من الصحة. وعادة يكون لهم هدف وغرض محدد من نشرها مثال على ذلك عندما يتم ترويج شائعة عن نية الحكومة في رفع سعر سلعة تموينية معينة، سنجد الكل يتسارع لجلب أكبر عدد ممكن من هذه السلعة لتخزينها الأمر الذي يؤدي إلى نقص السلعة من السوق. ومن ثم ارتفاع سعرها (الاحتكار). والنوع الثاني معلومات غير موثوقة ناتجة عن قلة الخبرة وعدم التحقق. وهذا النوع هو الأكثر انتشاراً عبر شبكات التواصل الاجتماعي. وتم نشره بشكل عفوي غير مقصود بسبب التسرع في نشر المعلومة دون التحقق من مصادرها الأصلية. وأحياناً أخرى عن طريق المزايدة على المعلومات المقدمة من مصادرها.

كيف نتصدى لحرب المعلومات (الشائعات):

أمرنا الله بتحري الدقة عن الشائعة أو المعلومة. حيث جاء ذلك في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ" صدق الله العظيم. سورة الحجرات: الآية [٦] فإذا كنا نتحدث عن كيفية التصدي لمخاطر الصراع

المعلوماتي عبر شبكات التواصل الاجتماعي، فيكون ذلك من خلال تحري مصدر المعلومة أي يجب أن تكون المعلومة صادرة عن صفحة رسمية لجهة معلومة في الدولة والاستدلال أو الربط بمصادر أخرى كالصفحات المحلية والدولية وآراء المحللين السياسيين والاقتصاديين والخبراء التي تؤكد صدق المعلومة، والتحقق من ذكر حقوق الملكية الفكرية للمعلومة سواء شخص أو هيئة كما يجب أن تكون المعلومة دقيقة ومكتملة وغير متناقضة مع عنوان الخبر المنشور، والمعلومة المقدمة على هيئة أرقام ومؤشرات يجب أن توثق بمصدر معروف، وأن لا تتعارض المعلومة المقدمة على ما هو متعارف عليه من عادات وتقاليد والقيم المجتمعية العربية كما يُمكن الأخذ بآراء أهل العلم وذوي الخبرة في موثوقية المعلومة والتي يمكن قياسها من خلال تحليل تعليقاتهم حول المعلومة المنشورة، ويجب النظر للمعلومة المنشورة بتجرد لكي نستطيع الحكم عليها إذا كانت تحمل وجهة نظر شخصية أو غير محايدة، ايضاً المعرفة المسبقة لاتجاهات الفرد أو المؤسسة (الدينية والسياسية و الاجتماعية و الثقافية وغيرها) يُمكن من خلالها الحكم على صدق أو كذب المعلومة، وأخيراً يجب أن نحد من مشاركة ونشر المعلومات المجهولة المصدر الغير موثوقة حتى لا نكون سبباً في إيذاء الآخرين نفسياً بإحداث الزعر والقلق من المستقبل. أختتم هذا المقال الذي كاد ألا ينتهي نظراً لأهمية الموضوع وتعدد جوانبه بأننا نقع تحت نيران الجيل السادس من الحروب (الشائعات والأوبئة) وعلينا التصدي لها وخاصة في المنطقة العربية والتي أصبحت محط أنظار الغرب وأن التصدي لهذه الحرب يعتمد بشكل كبير على ثقافة القارئ ومدى امتلاكه لأدوات التحليل المنطقي إذا غاب مصدر المعلومة، لذا يجب أن ننتقي لعقولنا المعلومات ذات القيمة المبنية على الحقائق والبراهين، وبتعد كل البُعد عن تلك المجهولة التي تدمر العقل وتُنهكه، وتحاول تغيير ثوابت الدين والعادات والتقاليد وتسعى للتخريب والدمار.[1]

المصادر:

بدر معلول. (٢٠٢٠). الجيل السادس للحروب: حرب الفيروسات

باسم فاضل. (٢٠١٦). حروب الجيل السادس وكارثة العالم الجديد

حسين موسى. (٢٠١٥). استراتيجية أمن المعلومات في ظل حروب الجيل السادس

شادي عبد الوهاب. (٢٠١٧). حروب الجيل السادس: التحولات الرئيسية في المواجهات العنيفة غير التقليدية في العالم، مجلة دراسات المستقبل، العدد الأول نوفمبر ٢٠١٧

Verma, B. V. Non Contact Warfare (NCW)--Managing Con ict in 21st Century.

FitzGerald, M. C. (1994). The Russian military›s strategy for› sixth generation» warfare. Orbis, 38(3), 457477-.